

الحمد لله الذي جعل لكل داء دواء، والصلاة والسلام على نبيّه مرشد الأطباء. أما بعد:

فكثيراً ما كان يسألني القراء، ومنذ تأسيس الدار، عن كتاب "الطب النبوي"، يدفعهم إلى ذلك إيمانهم بصدق ما يقوله الرسول ﷺ وصحته، ويظنون الشفاء فيما ورد في ذلك الكتاب من وصفات، من غير تدقيق في روايتها أو معرفة بظروف استعمالها.

وكنت أتلكأ في نشر كتاب بهذا الاسم لأنني أرى أن الرسول ﷺ نقل إلى الناس رسالة سماوية، لا يأتيها الباطل، ولا تتغير ولا تتبدل، فيما العلوم الطبيّة وغير الطبيّة تخضع للتغيير والتبديل.

ومع ذلك فقد رأيت الناس تُقبل على موضوع الطب النبوي لأنهم يعلمون أن الرسول ﷺ تداوى وداوى، وله أحاديث كثيرة في موضوع الطب والتداوي، تناقلها الصحابة، ثم جمعها بعض العلماء في كتب وأطلقوا على ما جمعه اسم "الطب النبوي"، فتداوله الناس، وأخذوا به من دون تمحيص، فأصبح، والحال هذه، من الواجب تبيان الغثّ من الثمين في الموضوع، وفرز ما جاء عن الرسول عما وضعه المغرضون، لأسباب شتى، وأهواء مختلفة.

والمنتبع لآراء العلماء في هذا الباب يجد بعضهم يؤكد وجود طب نبوي صحيح يؤخذ به، ويُعتمد عليه، استناداً إلى الآية القرآنية، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم / 3،4] وشمولية مضمونها، بينما يرى آخرون خصوصية الآية بالرسالة السماوية، وأن ما نُقل عنه في موضوع الطب من أحاديث لا يتعدى معارف الناس في ذلك الزمان، والاجتهاد الشخصي.

ولا يخرج موقعه ﷺ في ذلك عن موقعه يوم أتى المدينة ورأى الأنصار يؤبّرون النخل - يلقحونه - فقال ما معناه: (لو تركوه لأثمر)، فلما تركوه لم يثمر كالعادة، ولما أخبروه بذلك قال: (أنتم أعلم بشؤون دنياكم) كما في حديث مسلم، وكذلك قصّة تغيير موقع نزول جيشه في معركة بدر، بناء على نصيحة الحباب بن المنذر [مختصر سيرة ابن هشام].

ومهما كان الأمر، ومع أننا نميل إلى أصحاب الرأي الثاني، فإننا نرى، فيما ثبت صحته من أحاديث تتعلق بالتداوي، أو بالوقاية، طباً مفيداً، لأن الرسول ﷺ كان يتحرى صحّة ما يأمر به، وحديث تأبير النخل، وتغيير موقع جيشه في بدر دليلان ناصعان على ما نقول. وموضوع صحة الإنسان، في ضوء تكريم الإسلام للإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء/70]، من المواضيع الخطيرة التي لا يمكن أن يطلق الرسول ﷺ فيها أحكاماً تحتتمل الخطأ.

ولئن كان التقدم العلمي لم يثبت صحة مداواة المبطون بالعسل في زمن ابن خلدون فقد أثبت العلم الحديث صحة ذلك، ونشرت في فوائد العسل مئات الكتب، كثير منها لعلماء غير مسلمين. من هنا، لا يحق لنا أن نحكم بخطأ وصفة طبية وصفها ﷺ إن رأى العلم عدم فائدتها، بل يمكن إيقاف العلم بها طالما العلم لا يرى فيها نفعاً، ولا يضرّ ذلك بالمعالج ولا بما سُمّي بالطب النبوي.

وبما أنه لا يخفى على متابع التوجّه الحديث للإهتمام بما يسمى الطب البديل، والطب الصيني، وطب الأعشاب، والطب العربي، والطب الشعبي...، وحيث أن الدار تهتم بهذه المواضيع، ولديها منشورات كثيرة فيها، ونظراً لأن كثيرين يتوجهون إلى ما يسمى بالطب النبوي، وجدت من الواجب الإقدام، لا الإحجام، في اقتحام هذا الباب، وبخاصة أنني لدي الإطلاع على نُشرٍ ممّا اصطلح على تسميته بالطب النبوي وجدته يمكن تصنيفه في مجموعات ثلاث:

- 1- **المجموعة الأولى:** تتضمن أحاديث تأمر بالتداوي صراحة وتحثُّ عليه مثل (عباد الله تداووا فإن الله تعالى ما وضع داء إلا وضع له دواء إلى الهرم) [رواه الأربعة بألفاظ مختلفة].
- 2- **المجموعة الثانية:** وهي أحاديث أمر فيها الرسول ﷺ أصحابه بالوقاية، وتصح فيها التسمية الحديثة "الطب الوقائي"، وما ورد فيها من أحاديث كثير مثل: (إذا كان الوباء بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فراراً منه، وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليها [رواه البخاري ومسلم]. ويلاحظ تضمن الحديث ما يسمى في العصر الحديث "بالحجر الصحي"، ومثل (إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فاغسلوه سبعاً إحداهن بالتراب) [رواه مسلم]. وحديثاً، قد ثبت علمياً وجود جراثيم في فم الكلب كان لا يُقضى عليها في ذلك الوقت إلا بالتراب، ولا يختلف هذا عما يسمى "بالتعقيم" في العصر الحاضر...
- 3- **المجموعة الثالثة:** وتشمل الأحاديث النبوية التي تدل على أن الرسول ﷺ عالج نفسه أو عالج أصحابه بما ورد فيها، وهي كثيرة، ومعظمها سيرد في الكتاب مما لا حاجة لتكراره هنا، ومثاله: أنه لما أصابته حمى قال، في مرضه ذلك، لأهله (صبوا عليّ سبع قُرْبٍ من الماء) [رواه البخاري]. ومن الشائع حتى الآن، والثابت طبيّاً، معالجة ارتفاع الحرارة بالماء البارد، وبخاصة في حالة ضربة الشمس، التي نطُنُّها كانت كثيرة في زمن الرسول ﷺ.
- وقد كان همّي اختيار محقق أمين دقيق، يمكنه فرز الأحاديث الموضوعية في الطب النبوي، وهي كثيرة، لإرشاد القارئ إلى خطورتها، وعدم الإخذ بها.
- فعرضت الموضوع على الدكتور محمد عبد الرحمن المرعشلي الذي عهدت فيه الأمانة العلمية، وحسن الطوية، ومخافة الله، فاستجاب لطلبي مشكوراً، وليس لي أن أركي عمله فهو بين يدي القارئ، وهو الحَكَم على عمله.
- وبعد التشاور معه وقع الاختيار على ما أُلّفه الذهبي في هذا الموضوع لموقع المؤلف العلمي، وقد بيّن المحقق ذلك في تقديمه وتعريفه بالمؤلف. وتداركاً لأية هفوة طبيّة علمية، عرضت على أخي الدكتور محمد هاني عرموش، صاحب الخبرة الطويلة، والمؤلفات الكثيرة، في طب الأعشاب، أن ينظر في النواحي العلمية الواردة في الكتاب، فلم يبخل بنصائحه، وكانت له تعليقات وملاحظات مهمة يلحظها القارئ في هوامش الكتاب.
- وبهذا فإن دار النفائس تأمل أنها قدمت للقارئ العربي خدمة جليّة وكتاباً مفيداً. وفي الختام ترى الدار من واجبها تنبيه القارئ، عموماً إلى ضرورة الإشراف الطبي عند تعاطي أيّة وصفة وردت في الكتاب، والحمد لله أولاً وآخراً.